﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾ [ق: 45]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

توجيه الرَّسولِ والمسلمين إلى الانشغال بما هو أجدى من تكذيب الكافرين

بعدَ أن تحدَّثتِ السورةُ عن تمام قدرة اللّه وشمول علمه، وبيَّنت سهولةَ البعث والحشر عليه واختصاصَه به؛ ناسب أن تنتهيَ بتهديد الكافرين على تكذيبهم، بالعلم الذي هو أعظم التهديد، وأن تُختَم بتوجيه النبي ﷺ والمؤمنين معه إلى عدم الانشغال أو التأثُّرِ بأقوال المشركين، وتأمُرَهم أن ينشغلوا بتذكير مَن يخافون يومَ الوعيد.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِجَبَّارٖۖ﴾: (جبر) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى جِنْسٍ مِنَ العَظَمَةِ والعُلوِّ والاستِقامَةِ[1]، وأصل الجَبْر: إصلاح الشيء بضَربٍ من القهر، يقال: جَبَرْتُهُ فانْجَبَرَ واجْتَبَرَ، وقد يقال: الجَبْرُ تارةً في الإصلاح المجرَّد، وتارةً في القهر المجرَّد، والجبّار في صفة الإنسان يقال لمن يجبر نقيصتَه بادِّعاءِ منزلةٍ من التعالي لا يستحقُّها، وهذا لا يُقال إلّا على طريق الذَّمِّ، كقول اللّه ﷻ: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥﴾ [إبراهيم: 15]، وقوله: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢﴾ [مريم: 32]، ويقال للقاهرِ غيرَه أيضًا: جَبّار، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾[2].

2) ﴿وَعِيدِ﴾: (وعد) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَرْجيَةٍ بِقَوْلٍ، يُقالُ: وعَدْتُهُ أعِدُهُ وعْدًا، ويَكونُ ذَلِكَ بِخَيْرٍ وشَرٍّ، فَأمّا الوَعيدُ؛ فَلا يَكونُ إلّا بِشَرٍّ، يَقولونَ: أوْعَدْتُهُ بِكَذا[3]، قال تعالى: ﴿وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جبر).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (جبر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وعد).

يَتَّقُونَ﴾ [طه: 113]، والوعيد هنا معناه: ما حصل من الإيعاد والتهديد في الدُّنيا، ومنه ما جاء في سورة (ق)[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

فِقهُ الأولويّات ميزانٌ أصيل في دعوةِ النّاس

ختم الله السورةَ الكريمةَ بهذه الآية التي فيها تسليةٌ للرَّسول ﷺ وتحديدٌ دقيقٌ لوظيفتِه؛ إذ بيَّنت له أنَّ الله أعلمُ بما يقوله المشركون في شأنه وفي شأن دعوته، وسيَجزيهم على ذلك العقابَ الذي يستحقّونه؛ وأمَرَته بالصبرِ على أقوالهم، والانشغالِ بتبليغ رسالة ربِّه دون أنْ يخشى أحدًا سواه، وأعلمته أنَّه ليس بمُسَلَّطٍ عليهم؛ ليُجبِرَهم على اتِّباعه، ويَقهَرَهم على الدخول في الإسلام، وأنَّ وظيفتَه هي أنْ يذكِّرَ بالقرآنِ مَنْ يخشى عذابَ الله، ويخافُ وعيدَه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة فصل الآية:

توضيح غايةِ الأمر بالصَّبر والتَّسبيح

جاءت جملة: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ مفصولةً عمّا قبلها لِشِبهِ كمال الاتِّصال، الذي تُجيب فيه الجملةُ المفصولة عن سؤالٍ أثاره الكلامُ السابق - لا سيَّما قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ - عن الغاية من الأمر بالصبر والتسبيح، فتأتي هذه الجملة؛ لتشير إلى أنَّ الله تعالى سيعاقِب أعداءَ النبيِّ على ما يقولون في حقِّه، وفي حقِّ النور الذي أنزل إليه[2]، ففُصلت عمّا قبلها كما يُفصل الجوابُ عن السؤال.

دلالة الافتتاح بضمير التعظيم:

بثُّ الطمأنينةِ في قلوب المؤمنين، وبثُّ الرعبِ في نفوس المشركين

افتَتَحَت الآيةُ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تسليتَها للرسول والمؤمنين وتهديدَها للكافرين المنكِرين، بضمير العظمة العائدِ إلى ربِّ العالمين، الذي بيده الإحياء والإماتة؛ لِما للتعبير به من أثرٍ شديد في

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 424.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 333.

بثِّ الطمأنينة في نفوس الرسول وأصحابِه، وبثِّ الفزَع والرُّعبِ في نفوس المشركين المنكِرين، ففيه تأكيد أنَّ الله تعالى سيتولى محاسَبةَ الكافرين ومجازاتهم على أقوالهم بنفسه، ولن يَكِلَ ذلك، أو يُفَوِّضَه لأحدٍ غيره، والمعنى: (اشتغل بما قلناه، ولا تَشغَلْك الشكوى، فإنّا نعلم قولَهم، ونَرى عملهم)[1].

نوع القصرِ وبلاغتُه:

ذِكرُ علمِ الله بما يقوله المنكِرون تهديدٌ لهم بأشدِّ العذاب

تقديمُ المسنَد إليه على الخبر، في قول الله تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ يفيد قصرَ فاضِليَّةِ العِلم بكلام المشركين والدوافع التي تقف وراء ما يقولونه - في حقِّ الله تعالى، وفي حقِّ رسوله ﷺ، وفي حقِّ القرآن - على الله تعالى وحدَه، لا يتعدّاه العلمُ بذلك إلى أحدٍ سواه، وهو قصر صفةٍ على موصوف، قصرًا حقيقيًّا، وهذا الأسلوب يزيد من تطمين الرسول، ويدعوه إلى عدم التأثُّر بكلامهم أوِ الانشغال بآثار إنكارهم؛ لأنَّ ما قالوه لا يَخرُج عن علم الله تعالى، وفيه تهديد للمشركين بأنَّهم إن أضمروا شيئًا، فإنَّ ما أضمروه لا يخفى على الله، وإن خفي على كلِّ أحدٍ سواه.

سِرُّ التَّعبير بصيغةِ التَّفضيل:

جميعُ الخَلقِ مسلوبٌ منهم العِلم على التَّحقيق

اسمُ التفضيل في قول الله تعالى ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ إمّا أن يكون مسلوبَ المفاضلة؛ لعدم وجود مَنْ لديه القدرة على أن يحيط بما يعلمه الله من دقائقِ أقوال المشركين، وأغراضِهم التي يُضمِرونها، أو المرادُ: (نحن أعلمُ بحقيقةِ قولهم)؛ إذْ يقولون: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣﴾ [ق: 3]، أي: (نحن نعلم الأجزاءَ التي يقولون فيها: إنَّها ضالَّة وخفيَّة)، فصيغة (أفعَل) هنا لا تقتضي الاشتراكَ في أصل الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 157.

37]، وإمّا أن يكون معنى المفاضلة موجودًا فيه، ويكون المعنى: (نحن أعلم بما يقولون من كلِّ عالِمٍ بما يعلمه)[1].

نوعُ الباءِ ودلالتُها:

علمُ الله ملازمٌ لجميع ما يقوله الكفّارُ، وهم مع ذلك لا يَتَّقون عذابَ النّار

الباء في قول الله تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ حرفُ جرٍّ يفيد الإلصاق، وفي التعبير به دلالةٌ على أنَّ علم الله تعالى غيرُ مُنفَكٍّ عن شيءٍ من الأشياء، ولا عن حدَثٍ من الأحداثِ على وجه العموم، ولا ينفكُّ عن أقوالِ الكافرين المنكِرين على وجه الخصوص، ففي استعمال الباء دليلٌ على إحاطة عِلمِ الله بدقائقِ المعلومات، كعلم المُصاحِب بصاحبه الذي لا يُفارِقه، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة: 7]، وفيه تهديدٌ واضِح لمن يُخفي ما لا يرضاه الله من الأقوال، فضلًا عمَّن يُجاهِر به.

دلالة (ما):

وعيدٌ مِنَ الله بالعذاب على قولِهمُ الأفّاك

(ما) في قول الله تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ تحتمل أن تكون موصولةً بمعنى (الذي)، أي: (نحن أعلم بالذي يقولونه)، وتحتمل أن تكون مصدريَّة، والتقدير: (نحن أعلم بقولِهم عن البعث، الذي حَكَته السورة في مَطلَعِها: ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣﴾ [ق: 2 - 3].

دلالةُ الفِعلِ ﴿يَقُولُونَۖ﴾:

علمُ الله محيطٌ بأقوال جميعِ النّاس في مُطلَق الزّمان

جاء التَّعبير بصيغة المضارع في قول الله تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾؛ للدلالة على إحاطة علم الله بما يتجدَّد مِنْ قول الكافرين عن البعث أو غيره في الحاضر والمستقبل[2]، وفي إسناد الفعل إلى

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 157، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 442.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 442.

ضمير الجمع دلالةٌ على شمول علم الله تعالى كلَّ ما يتجدَّد قولُهم له بلا استثناءٍ لأحد منهم، كائنًا من كان، ففي استعمال هذه الصّيغة تهديدٌ للمكذِّبين وزَجْرٌ لهم وتخويفُهم من متابعة تكذيبِهم.

دلالةُ العطف بين الجمل:

وظيفةُ الرَّسولِ تنحصر في البلاغ، والحسابُ على الله تعالى وحدَه

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾؛ لعطف ما بعدها على قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾، أوثِر عطفُه لإعلامِ الرَّسول ﷺ وتطمينِه أنَّه غيرُ مسؤول عن عدم اهتداء الكافرين، وأنَّ عمله معَهم ومعَ غيرهم يقتصر على الإنذار والتبليغ، وليس عليه أن يُجبِرَ أحدًا على الإيمان، أو يَضطَرَّه إليه، "فلمّا كان التقديرُ: (فنحن قادرون على ردِّهم عنه بما لنا من العلم المحيط، وأنتَ لهم منذرٌ تنذرهم وبالَ ذلك)، عطف عليه قولَه": ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[1]، فالعطف جَمَعَ بين معنَيَيْ قصرِ العلم والحسابِ على الله تعالى، وقصرِ الإنذار على النبيِّ ﷺ؛ لبيان حجم التَّكليف الإلهيِّ، وأنَّ له حدًّا، ونظيرُ الآية قولُه تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝٤٠﴾ [الرعد: 40].

سِرُّ إيثار (ما) النافية:

نفيُ إجبارِ المشركين وغيرِهم على الإيمان نفيًا عامًّا

(ما) في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ هي النافية العاملة عمل (ليس)، والتي تمتاز عن (ليس) بدخولها على الجملتين الفعليَّة والاسميَّة، بخلاف (ليس) التي تختَصُّ بالجملة الاسميَّة، والنفي بـ(ما) أنسب هنا؛ لأنَّها تدلُّ على نفي مسؤوليَّة النَّبيِّ عن عدم اهتداء المشركين، ونفيِ كونه جبّارًا متسَلِّطًا على أحد منهم أو من غيرِهم نفيًا عامًّا.

دلالة ضَميرِ الخِطاب:

ضميرُ الخطاب في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 442، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 333.

يُقصد به الرسولُ ﷺ، وفي تسليط النفي عليه مؤانَسةٌ للنبي، وتخفيفٌ عنه، وإذهابٌ لِما يعتمل في صدره؛ بسبب تكذيب الكفّار له، وإنكارِهم ما جاء به، وفيه كذلك تأكيدٌ لكونه غيرَ مَلوم؛ بسبب عدم إيمانهم بالبعث؛ لأنَّ عملَه الرئيسَ هو التذكيرُ والبلاغ، وليس الإجبارَ أو الإكراهَ على الدخول في دين الله تعالى، وتخصيص الخطابِ برسول الله ﷺ؛ ليكون قدوةً لأمَّته، وأسوةً لهم ليعرفوا ما عليهم من واجبات.

لِلدُّعاة واجباتٌ لا يتجاوزونها، وضابطُ ذلك الاقتداء بسيِّد الخلق

بلاغةُ حرف الاستعلاء:

الجارُّ والمجرور في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم﴾ متعلِّقٌ بقوله بعدَه: (جَبّارٍ)، والضمير فيه يرجع إلى المشركين، و(عَلَى) حرفُ جرٍّ يفيد الاستعلاء والغلَبة، والتعبير بحرف الاستعلاء فيه تأكيدٌ لعدم تسلُّطِه على الكافرين، وعدم قدرته على إكراههم ولا إجبارِهم على الدخول في الإسلام، وعلى الإيمانِ بما جاءهم به الرسول ﷺ، أي: (ما كان لك أن تُجبِرَهم - بأيِّ وسيلةٍ كانت - على الهداية، فإنَّ الهدايةَ لله تعالى وحدَه، يهدي من يشاء من عباده لدينِه.

ليس لأحدٍ القدرة على هدايةِ الخلقِ إلّا بمشيئة الله

غرَضُ تقديم ﴿عَلَيۡهِم﴾:

قُدِّم الجارُّ والمجرور على الخبر في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾؛ للاهتمام بنفي الاستعلاء، ولتأكيد نفي كون الرسول مُتَسَلِّطًا عليهم مُكْرِهًا لهم وتقويته، وهو ما يومِئ إلى شِدَّة حِرصه ﷺ على هدايتهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الشعراء: 3].

دلالةُ الخَبَر:

الباءُ الجارَّةُ ومجرورُها في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ في محل نصب خبر (ما)، والباء فيه يفيد تأكيدَ نفي الخبر وتقويتَه؛ إذ لمّا أفاد حرفُ الاستعلاء القهرَ والغلبةَ؛ صرَّح به مؤكِّدًا

لا إكراهَ في الدّين، ولا إجبارَ على الإسلام

في النفي بالباء[1]، وجيء بالخبر نكرةً على وزن (فَعّال)؛ ليعمَّ النفيُ أيَّ قَدْرٍ من القهر أو الغلبة، فقليلُه وكثيرُه منفيٌّ نفيًا قاطعًا، قال تعالى نافيًا لجنسِ الإجبار: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: 256]، والمعنى: (ما أنتَ بمتكبِّرٍ قهّارٍ عاتٍ تردُّهم قهرًا عمّا تكرَه منهم من الأقوال والأفعال، إنَّما أنت مُنذِر)[2].

نوعُ الفاءِ ودلالتُها:

إثبـاتُ الإنـذار بعد نفي الإجبار

الفاء في قول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ هي فاء التفريع، الدّالَّةُ على أنَّ الأمرَ بالتذكير ناشِئٌ عن نفي كون الرَّسولِ جبّارًا عليهم؛ إذ لمّا نَفَى عنه الجَبَروت؛ أثبتَ له ما أفْهَمه العطفُ من النِّذارة[3].

غرض الأمر بالتذكير:

المُـداومَـةُ على الـتَّـذكـير، ومؤانسةُ النبيِّ، ودعوتُه إلى عدم الحُزن

الأمر بالتذكير في قول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ محمولٌ على أصله، وهو توجيهُ النبيِّ ﷺ إلى ما يجب عليه أن يُداوِمَ عليه، ويستمرَّ في القيام به، وألّا تَشغَلَه عنه الأقاويلُ ولا المؤامراتُ، وهو وعظ الناس وتذكيرهم بما زوَّده الله تعالى به في القرآن الكريم.

وفيه مؤانسةٌ للنبيِّ ﷺ، وتطييبٌ لخاطره، وحثٌّ له على مداومة العمل على الرَّغْم من عدم تجاوُب كثيرٍ من المخاطَبين مع ما يدعوهم إليه؛ لما فيه من إشارة إلى أنَّ ما يقوله يمكن أن يكون عُرضةً للتجاهل أو النسيان، وعرضةً كذلك للنَّبذِ وعدم الاهتمام، وفي الأمر بالتذكير الذي يكون عن نسيان إشارةٌ أيضًا إلى أنَّ كلَّ ما في القرآن من وعْظٍ إذا تأمَّله الإنسان؛ وجده شاهدًا في نفسه، أو فيما يعرفه من الآفاق[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 442.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 442.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 443.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 443.

نوع الباء ودلالتُها:

الباء في قول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ للمصاحبة، والمعنى: (لِتَكن دعوتُك للناس مصحوبةً بما ورد في القرآن من ذكرى وموعظة، أنزلها الله؛ لتكون عونًا لك على سبيل إبلاغ الرسالة، وأداء الأمانة).

دعـوة الـنـاس يجب أن تكون مصحوبةً بما ورد في القرآن من ذكرى وموعظة

بلاغة التَّعبيرِ بلَفظِ القُرآن:

التعريف في قول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ للعهد؛ إذ يُراد به: (الوحيُ النازلُ على رسول الله ﷺ، الجامعُ بمجده لكلِّ خير، المُحيط بكلِّ صلاح)[1]، بما فيه من قوارِعَ وزواجرَ وعواصمَ وقواصم، وفي التعبير عنه بالقُرآنِ دون (الكتاب) أو (الوحي) دلالةٌ على أنَّ التذكير بما فيه عن طريق قراءته على الناس هو أسهلُ وسائلِ الذِّكرى، وأكثرُها انتشارًا، وأسرعُها تأثيرًا في القلوب والنفوس، وأنَّ قراءةَ القرآنِ هي الأصل الأصيل في الدَّعوة لله ربِّ العالمين.

قـراءةُ الـقـرآنِ هـي الأسـلـوب الأنـجـعُ، لاحتوائها التأمُّلَ والتدبُّر

بلاغة التعبير بالفعل ﴿يَخَافُ﴾:

عبَّر البيان الكريم بفعل الخوف في قول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾، في جملة الصِّلة التي توضِّح المقصودَ بمفعول التذكير؛ للدلالة على أنَّ الذين يخافون عذابَ الله هم الأولى بالموعظة والتذكير؛ لأنَّ خوفهم سيحملهم على الانتفاع بما يُتلى عليهم بمزيدٍ من الإيمان والعمل[2]، فالخوف من وعيد الله أصلُ كلِّ خير، بخلاف غيرهم ممَّن لا يخافون، فإنَّ إيمانَهم وانتفاعَهم أمرٌ مشكوكٌ فيه، ولم يذكُرِ الخشيةَ؛ لأنَّها المرحلة الأعلى من الخوف، فلا تكون إلّا بعد الإيمان.

الـخـوف هـو المرحلة الأولى للإيمان، فمن حقَّقه؛ وقف على باب الهداية

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 443.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 333.

وعبَّر بفعل الخوف مضارعًا لما يدلُّ عليه مِن أنَّ خوفه المتجدِّدَ يُثير فيه الحماسة والرغبة إلى تلَقّي مزيدٍ من نور الوحي الواعظ المذكِّر؛ للاستضاءة به في دروب السَّير إلى الله، وهو ما يجعل مِثلَه حريًّا بالتعهُّدِ بالتوجيه والذِّكرى.

بلاغة التعبير بالمفعول ﴿وَعِيدِ﴾:

هو وعيد مَهولٌ لا يُحيط بكنهه إلّا الله

جيء في قول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ بمفعول فعل الخوف نكرةً مضافًا إلى ضمير المتكلِّم المحذوفِ تخفيفًا؛ لِما يفيده التنكير والإضافة من تعظيم الوعيد وتهويله، وللدلالة على أنَّه وعيد لا يعلم حقيقته إلّا الله الذي توعَّد به المكذِّبين المنكِرين، بعد ما أقام عليهم الحجَّة، وساق لهم الأدلَّة والبراهين التي لا يملك معها العاقلُ إلّا الإيمان بالبعث وتصديق المنذِر به، فشأن هذا التَّعبير أن يزيد الرعب في نفوس المنكرين، ويُسَلّيَ المؤمنين بعدالة الله ربِّ العالمين، كما أنَّ الإضافة إلى ضمير المتكلِّم فيه إشارة إلى الوحدانية؛ فالمتكلِّم أعرف المعارف، وأبعَدُ عن الإشراك به، وقبولِ الاشتراك فيه[1].

بلاغة فن التَّصدير:

الافتتاح بالقرآن المجيد، والختم بالقرآن ذي الذِّكر

افتُتِحت السورة الكريمة بالقسَم بالقرآن، في قول الله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: 1]، واختُتِمت بقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾، وفيه تأكيدٌ على أنَّ القرآن الذي أقسم الله تعالى به كتابٌ مجيدٌ، رفيعُ الشرف والأوصاف، كريمٌ بما فيه من مواعظَ وتذكرة، وأنَّ على مَنْ نُزِّل إليهم أن ينتفعوا به، ويتَّعظوا بما فيه؛ ليهتدوا في الدنيا، ويَسعدوا، وينعموا في الآخرة.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 158.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخوف والخشية:

الخوفُ يتعلَّق بالمكروه وبترك المكروه، تقول: خفت زيدًا، كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 50]، وتقول: خِفتُ المرض، كما قال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: 21]، والخشية تتعلَّق بمُنزِل المكروه، ولا يُسمّى الخوف من نفس المكروه خشية، ولهذا قال: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: 21][1]، ولمّا كان قصد الآية أمرَ الرسول أن ينشغل بالتذكير بما في القرآن من مواعظَ وزواجرَ وحديثٍ عن وعيد اللّه وعذابه؛ ناسب التعبير بالفعل ﴿يَخَافُ﴾ الدالِّ على رغبتهم في تحاشي الوعيد والنجاة منه؛ لكونه مُخيفًا لا طاقةَ لهم به.

الخوفُ يتعلَّق بالمكروه، والخشية تتعلَّق بمُنزِل المكروه

الوعيد والتَّهديد والإنذار:

الوَعيدُ لا يَكونُ إلّا بِشَرٍّ، يَقولونَ: أَوْعَدْتُهُ بِكَذا، قال تعالى: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [طه: 113]، ومعناه: ما يقع من الإيعاد والتهديد في الدنيا، والتهديد: وعيد وتخويف يُقصد به إرعابُ الخصم حتى يتسيَّب، وينهار[2]، أمّا الإنْذار؛ فهو تخويفٌ مَعَ إعْلام بمَوضِع المخافة[3]، ولمّا كان البيان قاصدًا إلى أمر النبيِّ بتوجيه الذكرى إلى مَنْ يتأكَّد انتفاعه بها؛ ناسب تعديةُ فعل الخوف المضارِع إلى الوعيد لعموميَّته، ولأنَّ تأثيرَه أكبر من التهديد والإنذار، فوقوع التَّأثير بالوعيد أكثر توقُّعًا من (التهديد) الذي يمكن أن يكون غرضُ فاعلِه هو التهديد فقط، ومن (الإنذار) الذي يمكن أن يكون مجرَّدَ إعلامٍ بما يُخيف لا أكثر.

تأثير الوعيد أقوى من التهديد والإنذار؛ لأنَّه مؤكَّدُ الوقوع بخلافهما

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 241.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (هدد).
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 242.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"